أسماء الله الحسنى
(الصَّمَدُ جل جلاله)
اللقاء الثاني عشر

إن أشرف الفقه ، وأعظم المعارف المعرفة بالرب العظيم ، وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا والتفقه في هذا الباب العظيم ، هو الفقه الأكبر .

قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)(محمد: من الآية19) فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه واسم جده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه وتفسيرها .

ويقول ابن القيم رحمه الله :لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان .

⇦و معرفة الله بأسمائه وصفاته وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والتوكل وسائر العبادات القلبية.

⇦ فإن أعظم ما يقوي الإيمان في القلب معرفةُ أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها والتعبد لله بها.

✉ اسم الله الصمد نردده في اليوم عدة مرّات في سنة الفجر، والوتر، وأذكار الصباح والمساء وأذكار النوم.....وغير ذلك مما ثبت في النصوص الشرعية، فلتسأل كل واحدة منا نفسها، من أول من تهْرَع إليه في حوائجها، وبمن تتضرع فيما يصيبها؟ من أكثر من نرجوه وأشد من نخافه؟ من أوّل من نستهديه حين نحتار؟ ولمن نشكوا حينما نتعب؟ ومن نحمد حين نفرح؟ من هو الصّمد في حياتنا؟

اسم الصمد في اللغة:

الصَّمَدُ : المقصودُ لقضاءِ الحاجاتِ .

شيءٌ صَمَدٌ : مُصْمَتٌ لا جَوْفَ له.

والمعنى في حق الله :

قال الطبري: الصَّمَدُ جل جلاله : "هو الذي لا جوف له، فلا يأكل ولا يشرب، وهو يُطعِم ولا يُطعَم" .

وقيل "الصمد" : هو السيد الذي ينتهي إليه السؤدد في كل شيء، كل أنواع العظمة تنتهي إليه، فله الصمدية المطلقة.
فقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الصمد هو: السيد الذي قد كَمُلَ في سُؤْدُدِه، والشريف الذي قد كَمُلَ في شرفه، والعظيم الذي قد كَمُلَ في عظمته، والحليم الذي قد كَمُلَ في حلمه، والعليم الذي قد كَمُلَ في علمه، والحكيم الذي قد كَمُلَ في حكمته، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواع الشرف وَالسُّؤْدُد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كُفْءٌ، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وقيل "الصمد" : هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه .

وقيل "الصمد" : هو الذي يصمد إليه الأمر، يعني يرجع إليه الأمر، فلا يقضى دونه، وليس فوقه أحد.

وقال السعدي "الصمد "هو : الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وأحوالها وضروراتها؛ لما له من الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله .

(الصَّمَدُ) جلَّ جلاله :هو الذي تقصده الخلائق كلها، إنسها وجنُّها، بل العالم بأسره العلوي والسفلي، بحاجاتها وملماتها الدقيقة والجليلة.

وعن أبي بن كعب قال (الصَّمَدُ): الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، لأنَّهُ ليسَ شيءٌ يولَدُ إلَّا سيَموتُ ، ولا شيءٌ يموتُ إلَّا سيورَثُ ، وإنَّ اللَّهَ لا يموتُ ولا يورَثُ.

قال ابن تيمية (رحمه الله): "وهو سبحانه المصمود إليه في الحوائج والنوازل، المقصود إليه في الرغائب، المستغاث به عند المصائب".

وهو الذي تصمد وتتوجه إليه الخلائق في حوائجهم فيكفيهم، إذ ليس لها رب سواه ولا مقصود غيره تقصده وتلجأ إليه. وهو الذي تقصده الخلائق في عبادتها ودعائها، قال الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (الإخلاص:4:1).

كل هذه المعاني لكلمة "الصمد" تتمحور حول وحدانية الله جلّ جلاله.

إنَّ معاني اسم الله "الصمد" تجعل العبد يستشعر القوة، والعزة، والغنى عن كل ما سوى الله عز وجل، فيوقن ما معنى أنّ الله سبحانه وتعالى كافٍ عبده، فالعبد حين يشعر بالضعف والوهن أو الفقر والعجز أو انقطاع السبب، يحتاج إلى مثل هذا المعنى العظيم ليناجي به الله جلّ وعلا، فلا يلبث أن يرى الهموم تلاشت ، طالما أن الصمد معه يسمع نجواه ويرى مكانه، وأن الكون كله ليس سوى هباءًا منثورًا، ولو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك،لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ،ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، ومن كان الصمد معه فمن عليه؟!

ورود اسم الله "الصمد" في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة (الإخلاص):

قال الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ} (الإخلاص:1-2).

✉وقد ورد هذا الاسم أيضاً في السنة النبوية الصحيحة في عدة مواضع، منها:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال اللَّهُ: وأنا الصَّمَدُ الذي لَمْ أَلِدْ ولَمْ أُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لي كُفُوًا أحَدٌ) رواه البخاري.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (يُوشِكُ الناسُ يتساءلونَ ، حتى يقولَ قائِلُهم : هذا اللهُ خلق الخَلْقَ فمَن خلق اللهَ ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ثم لِيَتْفُلْ عن يَسَارِهِ ثلاثًا ولْيَسْتَعِذْ من الشيطانِ) صحيح الجامع

📧اسم الله "الصمد" ورد مع اسمه الأحد في سورة الإخلاص فقط ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ الإخلاص

✉وسورة الإخلاص ، سورة مكيّة تتحدث عن صفات الله تعالى الواحد الأحد، والمنزه عن صفات النقص وعن المماثلة والمجانسة .

و"الأحد" : هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر ، وهو المنفرد بوحدانيته في ذاته وفي ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

📄وسبب نزولها عن أبيّ بن كعب : أنَّ المشركينَ قالوا لرسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: انسِب لَنا ربَّكَ ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ. صحيح الترمذي

⇦ هناك سؤال هل المشركين كانوا يعلمون الصمد؟

✋ نعم كلهم يعلمون الصمد ، و يرجعون إليه إذا احتاجوه ، فهو سبحانه الذي يكفيهم ويسد حاجاتهم وأسئلتهم الذي يصمدون إليه عند الحاجة.

➪ قال تعالى (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...)(38) الزمر

➪عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ لِأَبِي : " يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا ؟ " قَالَ أَبِي : سَبْعَةً سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ : " فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ " قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ)....رواه الترميذي ومختلف في تصحيحه

📓هم يعلمون الصمد ، ويصمدوا له في حاجاتهم ، لكنهم ينكرون أنه الأحد ، الواحد ، المتفرد باستحقاق الألوهية والعبودية .

📄 وسميت سورة الإخلاص لأمرين :

➪الأمر الأول : أن الله أخلصها لنفسه فليس فيها إلا الكلام عن الله سبحانه وتعالى وصفاته .

➪والأمر الثاني : أنها تخلص قائلها من الشرك إذا قرأها معتقدا ما دلت عليه .

✋ فلما أريد في صدر البعثة إثبات وحدانية الله وإبطال عقيدة الشرك نزلت سورة الاخلاص ووصف الله نفسه بأنه أحد.

📧 رد على النصارى الذين قالوا إن المسيح ابن الله ، وعلى اليهود الذين قالوا إن عزير ابن الله ، وعلى المشركين الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ، وهو سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (30) التوبة

📄 عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ربِّه: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ». رواه بخاري

📄 وسورة الإخلاص التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تعدل ثلث القرآن:
📄عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (قال النبي صلى الله عليه وسلم: أَيَعْجِزُ أحدُكُم أن يقرأ ثُلث القرآن في ليلة ؟ فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أيُّنا يُطيق ذلك يا رسولَ الله ؟ فقال: الله أحد، الله الصمد ثلثُ القرآن) رواه البخاري
📄 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (خرج إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرأ عليكم ثلث القرآن ؟ فقرأ: قُلْ هُوَ الله أَحَد، الله الصمَدُ... حتى ختمها) رواه مسلم

📄 وقال العلماء لما تضمنته من المعاني والعلوم والمعارف.

✉ قال النووي: "قال القاضي : قال المازري: قيل: معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء، قصص، وأحكام ، وصفات لله تعالى، وقل هو الله أحد متمحضة للصفات، فهي ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء.
⇦ فعلوم القرآن ثلاثة : ❶توحيد ❷وأحكام ❸وقصص .

☜وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد ، فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار لأنها أساس وحدانية الله تعالى ، وإفراده بالعبادة دون شريك ولا ولد سبحانه عما يقولون ويفترون.

✉ واليوم تعلقت القلوب بغير الله ، لم تصرح بما صرحت به اليهود والنصارى والمشركين ، ولكن لسان الحال ينطق بهذا ، فكثرت الامراض النفسية والانتحارات والجرائم ، وكلها هذا يعود الى أن القلوب لم تصمد لفاطرها ، بل صمدت لرغباتها وشهواتها فأهلكتها .

📧لهذا كان من السنة ترديد اسم الله الصمد في اليوم والليلة ، في الصلوات والأذكار وتلاوة القرآن.

⇦لأنه جلَّ جلاله الصمد : هو المقصود في الرغائب، المستغاث به عند المصائب، المفزوع إليه وقت النوائب ؛ ففي كل لحظات حياتنا نحن بحاجة إليه سبحانه، فإن لم نرجع إليه اختيارًا، رجعنا إليه اضطرارًا.

أنت تريد جلب المنافع صغيرها وكبيرها، وتريد دفع المضار، على من تعتمد، وبمن تسعين، وبمن تثق ، والى اين تذهب ؟ هل لك حاجة ، تريد شيء ، أبحث عن ركن شديد ، حتى تأوي إليه : لكن يجب أن يتوفر اربع شروط لمن تصمد اليه :

١) أن يكون كاملاً في ذاته وأسمائه وصفاته، منزهاً عن النقائص والآفات.

٢) وأن يكون محسناً إليك.

٣) وأن ترجوا وصول إحسانه إليك في المستقبل.

٤) وأن يمتلك القهر والقوة وكمال السطوة.

فرَّغ قلبك من غير الله، والجأ إلى الله الصمد، فهذه الأربع من المستحيل أن تجدها ، إلا عند الأحد الصمد .

كيف نعبد الله باسمه (الصَّمَد) ؟

أولًا: أن نحبه تعالى الحب الخالص الأكبر: الذي تصمد إليه الخلائق، وتُهرَع إليه في قضاء حوائجها، وتفريج كرباتها، حريٌّ بأن يُحب الحب الخالص الأكبر؛ ذلك لأن النفوس الأبية جُبلت على حبِّ من يعاونها ويقضي لها حاجاتها، فكيف بالصمد جلَّ جلاله الذي لا يكشف السوءَ غيرُهُ، ولا يجيب المضطرَ سواه؟!ولازم هذه المحبة الإقبالُ على طاعته، والسعي في سبيل مرضاته، والابتعاد عن معصيته.

ثانيًا: ألا يقصد العبد بحوائجه إلا الله، ولا يعلق الآمال إلا بالله: أن يُفرده العبد بالتوجه والقصد والسؤال والطلب، والتوكل والتعلق والثقة؛ كما قال عليٌّ رضي الله عنه: "لا يخافنَّ أحدُكم إلا ذنبه، ولا يَرْجُوَنَّ إلا ربَّه".

ثالثًا: أن يتخلق العبدُ بهذا الاسم، فيجعل نفسه مقصودًا للخير متعاونًا عليه:

♦ قال القرطبي: "ثم عليه أن يتخلق بأخلاق السيادة والسادة؛ حتى يكون مصمودًا وبابه مقصودًا، روى هشام بن عروة عن أبيه قال: أدركت سعد بن عبادة ومنادٍ ينادي على أُطْمة: من أحب شحمًا ولحمًا، فليأتِ سعدًا، ثم أدركت ابنه قيسًا ينادي مثل ذلك"؛ فالسعيد من قصده الناس لقضاء حوائجهم.

فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: « وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيه، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ». صحيح الترميذي ، فتخيل أن الله تعالى هو الذي يقضي لك حاجتك، هل تبقى حاجة لك لا تُقضى؟

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ والآفاتِ والهلكاتِ، وأهلُ المعروفِ في الدنيا همْ أهلُ المعروفِ في الآخرةِ». الجامع الصغير

إذاً "الصمد" جل جلاله هو : من له الكمال المطلق في كل شيء، وهو المستغني عن كل شيء، وكل من سواه مفتقر إليه في كل شيء، ويصمد إليه ويلجأ إليه، ويعتمد عليه، وهو الكامل

في جميع صفاته وأفعاله، لا نقص فيه لوجه من الوجوه، وليس فوقه أحد في كماله ، وهو الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم، وسائر أمورهم، فالأمور أُصمدت إليه، وقيامها وبقاؤها عليه، لا يقضي فيها غيره، وهو المقصود في الرغائب، والمستغاث به عند الشدائد، وهو الذي يُطعِم، ولا يُطعَم، ولم يلد، ولم يولد.

قال الإمام القرطبي: فيجب على كل مكلف أن يعْلَمَ أن لا صمدانية ولا وحدانية إلا لله وحده ، فلا يقصد غيره ولا يلجأ في حوائجه إلا إليه..."

فلا تضِقْ ذرعًا بهمِّك أو بمرضك أو بدَيْنك؛ فالصمد جلَّ جلاله إذا التجأت إليه لن يخذلك ولن يضيعك، فقط اصْدُق في لُجوئك إليه، وإنزال حاجتك به، واعلَم أن انتظار الفرج عبادة، ودوام الحال محال، والليالي حبالى بالعجائب، والغيب مستور، وإن مع العسر يسرًا.

يا صاحب الهم إن الهمَّ منفرجٌ أبشِر بخير فإن الفارجَ الله

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه لا تيئَسنَّ فإن الكافي الله

فإن بُليت فثِقْ بالله وارضَ به إن الذي يكشف البلوى هو الله

فحينما نقول يا صمد، يجب أن نعلم أننا صمَدنا إلى العظيم، والتجأنا إلى القوي واعتصمنا بالقادرِ، الذي لا تُعجزه ولا تُعضله أمنية ، لأنه الكامل في ذاته أسمائه وصفاته وأفعاله ، المقصود في الرغائب والرهائب .

القرآن أخبرنا عن أولياء الله الذي صمدوا اليه، واخبرنا عن اعدائه الذي صمدوا الى حسبهم ونسبهم ومالهم وجندهم هل سمعتي أن الله خذل أوليائه .

حكى لنا - سبحانه - ما فعله نوح - عليه السلام - بعد أن صبر على إيذاء قومه ولجأ إلى الصمد فقال (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فانتصر) ثلاث كلمات صعدت لرب البريات ، اهتزت لأجلها الأرض و السماوات .

يا رب أنا مغلوب فانتصر لي، فجاء الجواب من الله - عز وجل - في بيان قدرته المذهلة، العظيمة العجيبة، قال ربنا -جل وعلا- الذي يملك كل شيء : (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) [القمر 11-12]
ماء السماء، وماء الأرض، كل عيون الأرض، وأبارها وبحارها تفجرت، ونزلت السماء بماء عظيم، ونوح في هذه السفينة نجاه الله -عز وجل-، وأغرق قومه.
وهكذا نجا الله عبده وأوليائه معه؛ لأنه سبحانه وتعالى بيده كل شيء، فلنعلق قلوبنا بربنا -عز وجل -، ولا نعلق قلوبنا بالبشر، فرب البشر -جل وعلا - قادر أن يغير كل شيء بلحظة :(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [النحل: 40]

كلمة واحدة يتغير بها كل شيء، فلنصمد إلى الصمد -جل و علا- في سرائنا وضرائنا، وسرنا وعلانيتنا ؛ فإنه سبحانه تعالى سميع قريب مجيب.

✉صمد موسى عليه السلام لربه فحصلت المعجزات، قال(كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)،فجاء الفرج من الصمد جل جلاله (فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)الشعراء

⇦لما عظم البلاء على بني إسرائيل ، ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها ، أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فانفلق صار فيه اثنا عشر طريقا على عدد أسباط بني إسرائيل ، ووقف الماء بينها كالطود العظيم ، أي الجبل العظيم

⇦فصار لموسى وأصحابه طريقا في البحر يبسا ، فلما خرج أصحاب موسى وتكامل آخر أصحاب فرعون ، أعاد الله اليابسة بحراً وأغرق فرعون وجنوده .

▤ الزم عتبة العبودية تكون لك السعادة الابدية، وتقضى حوائجك وتنال الرغائب وتذهب الرهائب .

🗐 أول السور التي تحفظ وتُفَهم الأطفال هي سورة الإخلاص؟ لماذا؟

⇦ أن فطرة الطفل السوية ما هي؟ إحساسه بالضعف مع إحساسه أن هناك عظيمًا يُلجأ إليه، فالطفل ماذا يشعر؟ يشعر بالضعف ويشعر أيضا أن من المؤكد أن هناك عظيم كامل الصفات يلجأ إليه يسُد ضعفه، هذه الفطرة السوية التي في نفوس الأطفال، وفي نفوس الناس كلهم أن لابد أن هناك عظيمًا عليًّا تجتمع فيه صفات الكمال.

🗐 لكن لماذا يشعرون هذا الشعور؟

▤الشعور الأول : لأن الله –عز وجل-وضعه في قلوبهم وضع في قلوب الناس شعورهم بالضعف والعجز والفقر والحاجة ليدفعهم الى العبودية .

▤ وشعورهم الثاني : أنه لابد أن يكون هناك عظيم قوي غني قادر يلجئون إليه ويقصدونه فتتحقق الغاية من الخلق (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (56) العبودية.

⇦هذا الامر لا بد من تكراره على الصغار، فنعيد عليهم أنه ليس لكم ملجأ الا الله ، ولا يعطيك الا الله ، ولا يفرج كربتك الا الله .

⇦ تكرار هذا الكلام يبني بداخهم التوحيد، الاعتقاد السليم، فيوحدوا في أفعالهم وعبادتهم، فيتعلقوا به حبا وخوفا ورجاء، عبادات باطنة وصلاة وصيام وزكاة عبادات ظاهرة .

✉أحسن ما نربي عليه أبناءنا وأنفسنا قبلهم ، معاني الأحد والصمد وما سوى الله فان (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) الرحمن ، وما سوى الله ضعيف وعاجز وفقير.

وقال تعالى (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) (3) الفرقان

تعليق قلوبهم بالله الحي القيوم ، الاول الاخر ، الظاهر الباطن ، قل لهم إذا كنتم مع الله لا قلق ولا خوف ولا هموم ولا ظلم ، لا تعلق قلوبهم بالفانين الضعفاء ، بل اغرس في نفوسهم حب من بيده مقاليد السماوات والارض .

هذا الإله العظيم الذي نرجوا رحمته وجنته ورضاه، ونحن نعصيه ؟

حق الصمد على عباده كما قال عبدالله بن مسعود:(أن يُطَاعَ فَلا يُعْصَى ، وَيُشْكَرَ فَلا يُكْفَرَ ، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلا يُنْسَى).

اسمعي لخطاب من كمل في رحمته وحلمه ، انه هو البر الرحيم يناديك أن تصمدي اليه بحاجاتك ليقضيها لك ولو أغرقتك الذنوب، كما جاء في الحديث القدسي، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:(يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَة) رواه الترمذي

هذا الرب العظيم الذي تصمد له الخلائق يغضب اذا لم تسأليه.

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجةً و سل الذي أبوابه لا تُحجبُ ، الله يغضبُ إن تركت سؤاله ، و بُنَيَّ آدم حينَ يُسألُ يغضبُ.

مهما كانت حاجتك فرحمة الله ، ومغفرة الله ، واجابة الله أوسع منها، فأنزل حاجتك بالصمد .

إذا علم العبد اتصاف ربه بهٰذا الكمال والجلال، وأنه سبحانه لا شيء فوقه، ولا شيء يعجزه، وأنه سبحانه مَفْزَعُ الخلائق ومَلْجَؤُها، فلا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، وإليه وحده المفرّ، وهو وحده الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها ومسائلها ورغباتها، وجب عليه أن لا يلجأ إلا إليه، ولا يطلبَ حاجته إلا منه، ولا يصرف عبادته إلا له، ولا تكونَ استعانته إلا به، ولا يكونَ توكله إلا عليه. قال تعالى ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَـهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: 62]

لا يستطيع العالم كله أن يمسك بسوء لم يرده الله ، ولا يستطيع أحد من العالم كله أن يجلب لك خير لم يقدره الله لك. قال تعالى (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [فاطر:2]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا فَقَالَ:(وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) الترميذي

فلو قام الخلق كلّهم من أولهم إلى أخرهم ، في عرض حاجاتهم لقضاها -سبحانه-؛ لأنه صمد غني كريم، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ -تبارك وتعالى- أَنَّهُ قَالَ :(يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ) رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا -تبارك وتعالى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَه، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) رواه البخاري.

✉ تربية الله للعباد أن الصمديّة ليست وصف إلا له سبحانه؟

⇦واعلم أن من كمال تربية الله لعباده أنه لو استبدلوا عنه ملجأ أي لو صمدوا إلى غيره ولجئوا إلى غيره لابد أن يخذلهم فيمن لجؤوا إليه.

✋ مثال: نسمع عن الطبيب المشهور فلان ، ثم نذهب إليه وقلبنا متعلق به فيخذلنا الله وما يوفقه في إعطاء الدواء المناسب لنا لماذا؟

✋ مثال: وهذه تتعلق بالرقاة الشرعيين وتخذل ، وهذه بالمشعوذين وتخذل ، وهذه تتعلق بالحبيب وهذه بالقريب وهذه بالمال....وهكذا ؟

✍ والله يخذلهم جميعا ويزيد عليهم الله البلاء ، تربية من الله لهم لأنه وقع في قلوبهم الصمود لغيره، فإذا صمدوا اليه أتاهم الفرج، ورفع عنهم البلاء ، واثابهم الله خير الجزاء على مجاهدتهم و صبرهم .

☜ فلا تفزعي الى أحد من الخلائق مهما علا شأنه، قلبك لا يلتفت الى الناس ،خذي بالأسباب لكن قلبك لا يتعلق الا برب الأسباب، فيقضي حاجاتك ، انظر للسماء وعلق قلبك برب العرش ألجأ إليه ولا تلجأ إلى أحد سواه.

✉ إذن أعظم البلاء أن نلجأ بقلوبنا إلى غيره سبحانه، فكل ما يجريه الله علينا وما نشعر به من أزمات صغيرها وكبيرها بالتفصيل هي اختبار لنا ، من هو أول ما نفزع اليه ، فإن كان الله تبارك وتعالى صمدنا اليه فالفرج آت عاجلاً أو أجلاً .

✉ حاصرتك الحاجات وداهمتك الخطوب والتفت حولك الهموم وأخذت روحك بالهروب أفزع الى الصمد أنت بحاجة إلى أن تصمد اليه وأقلع من جذور قلبك أن تلجأ لغيره .

⊂فهو المقصود في الرغائب والمستغاث به عند المصائب والمفزع اليه وقت النوائب.

⊂تحتاج الى نصر ، تحتاج إلى إعانة ، تحتاج الى حفظ ، تحتاج الى لطف قل يا صمد.

🗐 عيناك على رسام القلب ، تنظر الى الخطوط المتعرجة ومريضك تخفت انفاسه وتتضائل نبضاته ، وتلك الخطوط تأخذ قليلا في الهبوط ، لحظتها تنسى اسم الممرضة والطبيب وتقول في رجاء: يا الله كن معه . علي الفيفي

🗐 أنصت إلى أولئك الذين تعبث بهم سفينة ، أو يرون الموت وهو مقبل عليهم ، وتعصف بهم رياح التقلّبات سوف تسمعهم بجميع أديانهم يلهجون باسمه : يا الله ... (جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ

وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [22:يونس]

📝عندما تقطع العلائق من الخلائق، يتولاك الخالق حينها فقط تتعلم ما معنى الصمد.

وقال ابن القيم في قصيدته "النونية":

وهوَ الإلهُ السَّيِّدُ الصَّمدُ الذي صَمَدَتْ إليهِ الخلقُ بالإذْعَانِ

الكَامِلُ الأوْصَافِ منْ كُلِّ الوجُوه كَمالُهُ ما فيهِ مِنْ نُقْصَانِ

📋 لماذا أمرنا بقراءة سورتي الإخلاص والكافرون وتكرارهما في بداية يومنا وفي نهاية يومنا وقبل نومنا ؟

📝 وذلك لأنهما تجددان في قلوبنا التوحيد والإخلاص.

✍ ونحن بحاجة لئن نجدد التوحيد ونجدد الإخلاص في قلوبنا وفي نفوسنا وفي حياتنا.

✍ولهذا لا تظن أنك بإيمانك الأول قد انتهى كل شيء ، وبتوحيدك الأول قد انتهى كل شيء أنت بحاجة لئن تجدد التوحيد في كل يوم، قال صلى الله عليه وسلم (إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كَما يَخلَقُ الثَّوبُ ، فاسْألُوا اللهَ تعالَى : أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكمْ) صحيح الجامع

📋نلاحظ المؤذن يرفع الأذان كل يوم ، والمطلوب أن نردد كلماته كل يوم، إنما يؤكد هذا على معنى التوحيد فيقول (الله أكبر الله أكبر، اشهد أن لا إله إلا الله ثم يختم بلا إله إلا الله) تجديداً للتوحيد وتأكيداً له لأننا بحاجة لئن نجدد التوحيد. الخضيري

⇦قال الدكتور علي الفيفي في كتاب لأنك الله:

⮌في عمق كل انسان ، وداخل كل خلية ، وحول كل شريان ، اشياء تعرف الله جيدا وتسجد له وتسبحه ، وأنت تؤذيها عندما توجه مسارها لغير ما خلقت له فتضيق عليك نفسك.

⮌الكافر وهو كافر اذا سمع القرآن يخضع ✉ومن قصص السيرة الشهيرة أن النبي (عليه افضل الصلاة والسلام) قرأ سورة النجم على مشركي مكة في المسجد الحرام وما إن انتهى حتى سجدوا، كلهم سجدوا حتى أولئك الذين طردوه وآذوه وخططوا لاغتياله سجدوا! قال تعالى (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (15)الرعد

⇦نادت خلاياهم ودمائهم بتوحيد خالقها والسجود له، فخروا سجدا وما تخلف منهم أحد ، أرواحنا تنادي بحاجتها الى بارئها .

خلق في نفوسنا حاجة حبه سبحانه ولا يشبع هذا الحب المقدس الا الانحناء بين يديه والطواف ببيته ، والقيام من النوم لاجله ، وبذل المهج في سبيله، وكل ما يجريه الله من الاقدار من الرغب والرهب ليذوق هذا الحب.

العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده ، وتفريج كربته ، فيتضرع الى الله فيفتح له باب من ابواب الايمان بالله ، ومعرفته ومحبته ، والتنعم بذكره ودعائه ، فيكون هذا أحب اليه وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي أهمته ، وهذا من رحمة الله يسوقهم بالحاجات الدنيوية الى المقاصد العلية الدينية.

من لحاجاتك غيره ؟
ففي ذات سنة قدم سليمان بن عبد الملك مكةَ حاجاً...فلما أخذ يطوف طواف القدوم ؛ أبصر سالمَ بنَ عبد الله يجلس قُبالة الكعبة في خضوع ...فلما فَرَغ الخليفةُ من طوافه ، وصلى ركعتين سنة الطواف ؛ توجه إلى حيث يجلس سالمُ بن عبد الله ،فلم يتنبه له سالم ولم يلتفت إليه ، لأنه كان مستغرقاً بما هو فيه ، مشغولاً بذكر الله عن كل شيء ، فقال الخليفة بصوت خفيض : سَلْنِي حاجةً أقضِها لك يا أبا عمر ، فقال سالم : والله إني لأستحي أن أكون في بيت الله عز وجل ؛ ثم أسألَ أحداً غيره ، فلما قضيت الصلاة ، نهض سالم يريد المضي إلى رحله ، فلحقت به جموع الناس يستفتوه في أمر من أمور الدين ، وكان في جملة من لحق به خليفة المسلمين سليمان بن عبد الملك ، فلما رآه الناس ، وسعوا له فمال عليه وهمس في أذنه قائلاً :ها نحن أولاء قد غدونا خارج المسجد ، فسلني حاجة أقضها لك ، فقال سالم :من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فارتبك الخليفة وقال : بل من حوائج الدنيا ...فقال له سالم : إنني لم أطلب حوائج الدنيا ممن يملكها ؛ فكيف أطلبها ممن لا يملكها ؟ فخجل الخليفة منه وَحَيَّاه ما أعزكم آل الخطاب بالزهادة والتقى .

وموقف سالم رضي الله عنه وقراءة حياة الصحابة رضوان الله عليهم يفقهنا في ما ورد في معنى اسم الله الصمد، وكيف عاشوا متنعمين بمعرفة الله .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ رَجُلا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ) رواه البخاري

حققوا الاخلاص وصمدت قلوبهم للصمد مما أوجب لهم محبَّة الله وثناءه عليهم.

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم (سَمِعَ رَجُلا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَقَالَ وَجَبَتْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَبَتْ قَالَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) رواه الإمام أحمد

دعوا الله مخلصين له الدين ، قطعوا العلائق من الخلائق ، صمدوا للخالق، دعوه فأجابهم .
عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً يصلِّي يدعو يقول: «اللهمَّ! إنِّي أسألُك بأنِّي أشهَدُ أن لا إلَه إلاَّ أنتَ، الأحدُ الصَّمَدُ، الَّذي لم يلِد ولم يُولَد، ولم يكُن له كفوًا أحد» قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» «مستدرك الحاكم»
صمدوا للواحد الاحد الفرد الصمد فغفر لهم ذنوبهم ولو كثرت .
عن محجن بن الأدرع أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل المسجد فإذا برَجلٍ قد قضى صلاتَه وهو يتشهَّد وهو يقول: «اللَّهم! إنِّي أسألُك بأنَّك الواحدُ الأحَدُ الصَّمَدُ الَّذي لم يلِد ولم يُولَد ولم يكُن له كفوًا أحد، أن تغفِر لي ذنوبي، إنَّك أنتَ الغفُور الرَّحيم»، فقال نبي الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثَ مرَّاتٍ :«قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ». و«سنن أبي داود ».

ينبغي على الداعي أن يكون قصده كله وتوجهه كله بجميع الحوائج إلى الله الصمد، والإقبال عليه دون ما سواه، مع الأخذ بالأسباب المأمور بها شرعًا، واليقين بأن الأسباب -مهما توفرت وسهلت- مملوكة لله وحده، فهو ربها ومدبّرها -سبحانه- ومليكها وخالقها ومقدّرها، وهو مُقيتُها، ولو حبس قُوتَه عنها لهلكت وأصبحت عدمًا، فليحذر المؤمن أن تستغرقه الأسباب، أو يعتمد عليها فينسى الصَّمَد، فيجب أن يكون صادقًا في اعتماده على الله الصمد، واثقًا به، حَسَن التوكل عليه، فيعتمد على الله في كل شيء؛ وإذا استشعر العبد معنى أن خالقه هو الصمد، لاستراح في هذه الحياة من متاعبها ومشاغلها، ذلك أن العظيم هو من يسيّر أموره، ويأمره بكل ما هو صالح له ، فليأوِي العبد الفقير إلى ربه القدير الخبير الغني صاحب الأمر والخلق والحكم –سبحانه-.

وفي الختام :

⇦ اللحظة التي تصمد فيها إليه لأجل حاجتك ، هي نفسها اللحظة التي تصبح حاجتك ملك يمينك

⇦لا عبور لأي رغبة إلا من طريق الله ، لا وجود لأي حاجة إلا بإذن الله ، لا إمكانيّة لحدوث شيء إلا بالله ، فإنّه وحده الذي لا حول في الوجود ولا قوّة إلا به .

⇦لا يمكن لخليّة أن تتحرّك ولا لذرة أن تكون ولا لقطرة أن تتبخر ولا لورقة شجر أن تسقط إلا بحوله وقوّته.

⇦لا يستطيع العالم كلّه أن يمسّك بسوء لم يشأه الله، ولا يستطيع العالم كله أن يدفع عنك سوءاً قدّره الله .

⇦إذن فاجعل وجهك إليه ، وألجئ ظهرك إليه ، وفوّض أمرك إليه، فهو الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

فاللهم يا واحد يا أحد، يا فرد يا صمد، يا من ليس له ولد، ولم يكن له كفوًا أحد، أنزل السكينة على قلوبنا، واقضِ اللهم حاجاتنا، وسكِّن آلامنا، واجبُر كسرنا، وقوِّ اللهم ضَعفنا، إنك نعم المولى ونعم النصير.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

المراجع:

❶الصمد جل جلاله: د. شريف فوزي سلطان
❷اسم الله الصمد: طريق الإسلام.
❸تأملات في اسم الصمد.
❹اسم الله الصمد:الكلم الطيب.
❺الصمد : علي الفيفي كتاب لأنك الله.
❻اسم الله الصمد:الموسوعة العقدية.